@ 405 @ الزبير وأشياعه . و { الْغَافِلَاتِ } السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر لأنهن لم يجربن الأمور ولا يفطنّ لما يفطن له المجريات ، كما قال الشاعر : % (ولقد لهوت بطفلة ميالة % .

بلهاء تطلعني على أسرارها .

. %)

وكذلك البله من الرجال في قوله (أكثر أهل الجنة البله) . { لُعِنُواْ فِى الدُّنْيَا وَالاْخِرَةِ } في قذف المحصنات . قيل : هذا الاستثناء بالتوبة وفي هذه لم يجيء استثناء . وعن ابن عباس أن من خاض في حديث الإفك وتاب لم تقبل توبته ، والصحيح أن الوعيد في هذه الآية مشروط بعدم التوبة ، ولا فرق بين الكفر والفسق وأن من تاب غفر له . ويناسب أن تكون هذه الآية كما قيل نزلت في مشركي مكة ، كانت المرأة إذا خرجت إلى المدينة مهاجرة قذفوها وقالوا : خرجت لتفجر قاله أبو حمزة اليماني ، ويؤيده قوله { يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ } وعن ابن عباس أنها نزلت في عبد ا بن أُبَيّ كان يشك في الدين فإذا كان يوم القيامة علم حيث لا ينفعه . والناصب ليوم تشهد ما تعلق به الجار والمجرور وهو ولهم . وقال الحوفي : العامل فيه عذاب ، ولا يجوز لأنه موصوف إلاّ على رأي الكوفيين . وقرأ الأخوان والزعفراني وابن مقسم وابن سعدان يشهد بياء من تحت لأنه تأنيث مجازي ، ووقع الفصل ، وباقي السبعة بالتاء ، ولما كان قلب الكافر لا يريد ما يشهد به أنطق ا الجوارح والألسنة والأيدي والأرجل بما عملوا في الدنيا وأقدرها على ذلك ، وليست الحياة شرطاً لوجود الكلام . وقالت المعتزلة : يخلق في هذه الجوارح الكلام ، وعندهم المتكلم فاعل الكلام فتكون تلك الشهادة من ا في الحقيقة إلاّ أنه تعالى أضافها إلى الجوارح توسعاً . وقالوا أيضاً : إنه تعالى ينشىء هذه الجوارح على خلاف ما هي عليه ، ويلجئها أن تشهد على الإنسان وتخبر عنه بأعماله . قال القاضي : وهذا أقرب إلى الظاهر لأن ذلك يفيد أنها بفعل الشهادة . .

وانتصب { يَوْمَئِذٍ } بيوفيهم ، والتنوين في إذ عوض من الجملة المحذوفة ، والتقدير يوم إذ تشهد . وقرأ زيد بن عليّ { يُوَفّيهِمُ } مخففاً والدين هنا الجزاء أي جزاء أعمالهم . وقال : % (ولم يبق سوى العد % .

وإن دناهم كما دانوا .

. %)

ومنه : كما تدين تدان . وقرأ الجمهور { الْحَقّ } بالنصب صفة لدينهم . وقرأ عبد ا ومجاهد وأبو روق وأبو حيوة بالرفع صفة ، ويجوز الفصل بالمفعول بين الموصول وصفته و { يَعْلَمُونَ } إلى آخره يقوي قول من قال : إن الآية في عبد ا بن أُبيّ لأن كل مؤمن يعلم { أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ } . .

قال الزمخشري : ولو قلبت القرآن كله وفتشت عما أوعد به العصاة لم تر ا عز وجل قد غلظ في شيء تغليظه في الإفك وما أنزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد ، والعذاب البليغ ، والزجر العنيف ، واستعظام ما ركب من ذلك واستفظاع ما أقدم عليه ما نزل فيه على طرق مختلفة وأساليب متقنة كل واحد منها كاف في بابه ، ولو لم ينزل إلاّ هذه الثلاث لكفى بها حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعاً وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة وأن { أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ } تشهد عليهم بما أفكوا وبهتوا به ، وأنه { يُوَفّيهِمُ } جزاء الحق الذي هم أهله حتى يعلموا عند ا { أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ } فأوجز في ذلك وأشبع وفصل وأجمل وأكد وكرر ، وجاء بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة الأوثان إلاّ ما هو دونه في الفظاعة انتهى . وهو كلام حسن . ثم قال بعد كلام فإن قلت : ما معنى قوله { هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ } ؟ قلت : معناه ذو الحق المبين العادل الذي لا ظلم في حكمه ، والمحق الذي لا يوصف بباطل ، ومن هذه صفته لم تسقط عنده إساءة مسيء ولا إحسان محسن ، فحق مثله أن يتقى وتجتنب محارمه انتهى . وفي قوله لم تسقط عنده إساءة مسيء دسيسة الاعتزال . .

والظاهر أن { الْخَبِيثَاتُ } وصف للنساء ، وكذلك { الطَّيّبَاتِ } أي النساء الخبيثات للرجال { * الخبيثين } ويرجحه مقابلته بالذكور فالمعنى أن { الْمُبِينُ الْخَبِيثَاتُ } من النساء ينزعن للخباث من الرجال ، فيكون قريباً من قوله { الزَّانِى لاَ يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً }